



فوانيس رمضان

ملحة

التي

بدعوة مصابني

الحلقة الخامسة

بلطي قتل راقصة من أجل «أثاوة» أمهم زميلاتها وطفلتها الصغيرة



القاهرة - من محمود متولي |

أكثر من «30» عاما قضتها الراقصة اللبنانية «المولد» والمصرية «الإقامة» ذات الشهرة الواسعة بديعة مصابني، التي تقرب أحداث حياتها من الأساطير بعد أن صالت وجالت في عالم الفن منذ انتقالها من بلاد الشام إلى القاهرة في عام 1910.

استطاعت مصابني - بحسب مذكرات وحسوات ومقالات رصدتها مسيرة حياتها - أن تحقق خلال مسوارها الفني الحافل شهرة طاعنة فقد تربعت على عرش الرقص الشرقي لأكثر من ربع قرن، وحظيت بالعديد من الألقاب منها «الراقصة الأولى في مصر والشرق الأوسط» و«ملكة الشيشة والنرجيلة»، و«ملكة الملاهي الليلية» وغيرها...

ولعبت الفنانة مصابني خلال فترة عملها دورا مؤثرا في الحياة السياسية بمصر بل وشكلت جزءا من تاريخ مصر الفني والسياسي والاجتماعي، ما جعلها تمتلك سطوة وسلطانا يفقده الكثير من الرجال سَهْل مهمتها في السيطرة على صعايلك وفتوات شارع «عماد الدين» ورجال السياسة والحكم والاحتلال الإنجليزي آنذاك الذين كانوا زبائن دائمين في صالاتها. كما تخرج على يديها عشرات الراقصات اللاتي حققن انتشارا بعد ذلك مثل تحية كارويكو وسامية جمال وحكمت فهمي وصفية حلمي وببا عزالدين وغيرهن.

في هذه السلسلة نستعرض سيرة بديعة مصابني وحكاياتها في حلقات عبر سطور «الراي» ونسلط الضوء على مسيرتها الفنية وعلاقتها بالحياة السياسية المصرية في تلك الأيام: كانت مصر - خلال الفترة من عام 1933 حتى عام 1936 - في هذه الفترة تعيش حالة من الفساد والقلق السياسي وتعدد الأحزاب التي تتوالى على الحكم باسم الديموقراطية والاحتلال البريطاني الذي يتحكم في كل شيء حتى في المعارضة داخل البرلمانية وتعيين رؤساء الحكومات، قبل أن تنتهي الفترة بمعاهدة 1936 التي ختمت أقدام الاحتلال في مصر في ذلك الحين. كان الاحتلال في ذلك الوقت يجمي فئة جديدة عرفت في مصر باسم «الفتوات» فهي تعيش على «البلطجة»، وفرض «إتاوات» أو ضرائب على أصحاب الصالات

والراقصات، وتتخذ مسرحاً لأعمالها منطقة «عماد الدين» التي كانت مشهورة بالملاهي الليلية. وأتبعنا أحداث تلك الفترة أنه كان لهؤلاء الفتوات علاقة مباشرة بهذا العصر وبفناناته عماد الدين، بل بديعة مصابني ذاتها، وما يدل على ذلك وجود ثلاثة مشاهير لهذا الارتباط، أولها: أن معظم هؤلاء الفتوات الذين ظهروا في فترة ما بين الثلاثينات والأربعينات وظفوا أدوارهم لحماية عدد كبير من الفنانين والفنانات الذين ملأوا سمع وبصر الدنيا في تلك الفترة، هذه الحماية المفروضة استمدت أهميتها من استعانة بعض هؤلاء الفنانين بهؤلاء الفتوات لحمايتهم من منافسيهم ومن بعض معجبيهم أيضا، وقد أوجبت هذه الحماية دفع إتاوات أو رواتب شهرية أو أسبوعية أو حتى يومية لهذا الفتوة أو ذاك.

وكان «الفتوة» - حسب تعبير فهمي عبداللطيف - يعتبر نفسه مسؤولاً عن الحي الذي يعيش فيه، لذلك كان هو صاحب الكلمة العليا حتى على سكانه وأهله، وبالتالي لا يرضى إلا بأن يعترف له أهل الحي بهذه المكانة بينهم، فإذا أقيم فرح أو مهرجان أو حفل عرس، فلا يمكن أن يكون ذلك إلا بعد استئذانه والإذعان لحمايته، ولابد أن يكون ذلك الفتوة على رأس هذا المهرجان وإلا كانت العقابية وخيمة، تكبدا بالكرسي فوق الرؤوس وتنتهي بإسالة الدماء على أزوفة الشارع ويقية مناطق الحي.

وكانت صالة بديعة مصابني يتزرد عليها السياسيون والأغنياء والعمد وأصحاب الأراضي والملاك وغيرها من الفئات القادرة من الشعب، التي تصرف من دون حساب، ولذلك استعانت ببعض هؤلاء الفتوات لأجل حمايتها بشكل شخصي وحماية صالاتها وروادها وفنانيتها من الأعداء والمعجبين ومن اعتداءات رجال الاحتلال البريطاني. وأصبحت معظم راقصات هذا العصر واقعات تحت نفوذ البلطجية والفتوات الذين احتلوا شارع عماد الدين وغيره من شوارع القاهرة، وكان هؤلاء الفتوات يؤلفون عصابت تفرض الإتاوات على هؤلاء الراقصات يدفعنها صاعرا غدا خوفا من العقاب، ومن أشهر هذه العصابت عصابة فؤاد الشامي الذي دخل هو ورجاله التاريخ الفني.

استعانت بالحراسة الخاصة لحمايتها وصلاتها

الملكة ونفوذ «الفتوات»... في شارع «الكباريهات»

عقد احتكار

كانت بديعة مصابني شديدة الإحساس بمواهب الراقصات الجدد، وكانت قد سمعت باسم امتثال وشهرتها، فقررت أن تستقدمها إلى ملهاها في القاهرة، ولكن الست بديعة كانت دائما ترحي هذا القرار لكي تغذاه في الوقت المناسب، وحينما جاء الوقت الذي أحسست به بديعة مصابني رحلت لتوها وبفسها إلى الإسكندرية من أجل إحصار امتثال فوزي التي وجدت في ذلك فرصة للتخلص من الاضطهاد والعذاب الذي ذاقته من زوج أمها عم كامل، الذي استغلها في الرقص وكان يكسب من ورائها الكثير.

وقعت مصابني مع امتثال عقد احتكار نظير أجر كبير، وفي القاهرة تجددت مواهب امتثال فوزي سواء في الرقص أو في الغناء، وقد نجح عند جمهور ملاهي وصلات القاهرة ما كانت تلقاه عند جمهور الإسكندرية.

محسن بك

وفي صالة بديعة تعرفت امتثال على محسن بك، وكان

شابا ثريا أولى امتثال رعاية كبيرة، وبعد أن تطوأت العلاقة طلبت منه أن يتدخل لدى بديعة مصابني لترقص «سولو» في الكازينو وبعدها يحضر فؤاد الشامي - وهو أشهر فتوات ذلك العهد الذي يجبر أحد العمد على دفع ثمن المشروبات رغم أنه - ناجي على امتثال ويعجب بها ولكنها لا تهتم به ولا بشهرته، ويحضر أحمد الغدار أحد رجال فؤاد الشامي لياخذ «الإثاوة» أو «المعلوم» من امتثال بناء على طلب المعلم «الشامي»، ولكن امتثال ترفض ويثور الشامي بعدما علم بما حدث، فكلمته مسموعة والجميع يرهونه ويعملون له الف حساب ويقابل مدام بديعة ويطلب منها طرد امتثال ويتحقق الطلب فورا.

يذهب فؤاد الشامي بنفسه لامتثال في منزلها، ولكنها تقابله باستطاف ويبدأ الحب بينهما ويعدها بأنه سيجعلها ملكة ل «عماد الدين»، ويعيدها إلى صالة بديعة، وتدفع «المعلوم» لأنها تعرف « قانون فؤاد الشامي» إلى أن يصل إليه أحد الإنكليز وتتكشف أن علاقته بالإنكليز علاقة مصالح، فتبدا في النفور



صورة قديمة لكوبري قصر النيل

منه بعد أن تذكر ما فعله الجنود الإنكليز معها وتتركه. وبعد أيام قليلة يتصل محسن به بامتثال ليطلب منها أن تحيي ليلة بمناسبة وصول صديق له يدعى «ناجي» من باريس، بعد دراسته لفن الإخراج المسرحي ويقام الحفل ويعترف ناجي على امتثال ويحبها ويطلب منها أن تعيش معه في بيت واحد وتقبل وتترك حياة الصالات وتعيش معه بلا زواج وتحمل منه لكنه يرفض أن يكون بينهما «طفل» وتحاول التخلص من الجنين ولكن بلا فائدة وتتركه وتعود إلى الإسكندرية عند أمها وتلد طفلة.

«باي...باي»

عندما علم محسن بيه بما حدث لامتثال حضر إلى الإسكندرية، قابلها وشجعها على العودة إلى القاهرة، وبالفعل حضر معه وتم الاتفاق على افتتاح مسرح جديد في «باب الحديد» يعرف باسم مسرح «اليسفور» وتبدأ البروفات، وتحدثي فؤاد الشامي في عدم دفع الإثاوة، ويحذو حذوها جميع صالات عماد الدين ويثور الشامي ويذهب إليها في الصالة في تحد ويبدأ في التفكير للتخلص منها بعد أن جرح كبرياءه وكرامته، ويذهب اثنان من رجاله إلى الصالة يوم الافتتاح وتطفا الأتوار ويعنف الزجاجة تقتل امتثال «وتصاب بغيبوبة»، وفي ميلودراما صارخة تموت ومن حولها زميلاتها الراقصات ومحسن بيه وأنها وطفلتها الصغيرة التي تحبو على أرض الصالة مع لحن اغنية «باي-باي» التي تعني هنا وداع الحياة.

تعرش

وقد تعددت الروايات التي قيلت حول حيشيات مقتل امتثال... الرواية الأولى تقول تفاصيلها: عندما سيطر فؤاد الشامي على شارع عمادالدين كان مشغولا ورجاله ببعض العمليات التي كانت تدر عليهم الأرباح الوفيرة، ولذلك فقد تركوا الراقصة الجديدة امتثال فوزي تدفع الإثاوة لغيرهم، ولكنه رويدا رويدا وصل إلى مسامحة صحتها وجمالها وفرونها أيضا، الأمر الذي جعله يتعرش بها ويطلبها بأن تدفع له من دون سواء، وعندما رفضت هذه فؤاد الشامي أن يحسم الخلاف لصالحه بأن يتم قتل هذه الراقصة:



بديعة مصابني

إلى كواليس المسرح لتحتمي به لكن كامل الحريري كان قد لحق بها فنجم عليها وغرز في عنقها زجاجة مكسورة ماتت في الحال، وفي قسم الأزيكية اعترف الجاني بقتله امتثال تنفيذيا لأوامر فؤاد الشامي.

ملهي اليسفور

وأكد فؤاد الشامي بعد ارتكاب هذه الجريمة أن أحد صبيانه ويدعى محمود الحريري هو الذي قتلها.

رجل صالح

أما الرواية الثالثة، فقد جاء في تفاصيلها أن القاتل كامل الحريري اعترف بجريمته بعد اعترافا كاملا، وقد قال إن فؤاد الشامي ومختر الشامي قد حضرا إليه في منزله ودعياه إلى وليمة شربوا فيها النبيذ، ثم حرصاه على ارتكاب هذه الجريمة - كما أوردت هذه الرواية وفق ما جاء في الصحف الصادرة آنذاك - وأن والد القاتل رجل صالح رأى الهوة التي انحدر إليها ولده فأقصاه هو وزوجته، وحين علم باعتقال ابنه حضر إلى قسم الأزيكية حيث استنكر الجريمة البشعة.

«علقة» ساخنة

ومن أشهر المعارك التي شهدتها شارع عماد - الدين أيضا تلك التي دارت بين بديعة مصابني والناقد الفني عبدالرحمن نصر الذي تعدد الإساءة إليها في مقالاته، وفي إحدى الليالي تربصت به مجموعة بلطجية بحريض من «مصابني» وأمسكوا به فقد الوعي، فلما استعاده تخلى عن النقد الفني واتجه إلى النقد السياسي.



فارس الخلفي

المجتمع المحيط به والعسكري يخدم وطنه الذي ولد ونشأ على أرضه، كما يتمتع مواصلة المشوار الذي بدأه في مجال الابتكارات والاختراعات.

موهبة في الكتابة

لم تقتصر موهبة الفتى الصغير على الاختراعات الإلكترونية فحسب، بل برزت لديه موهبة التأليف والكتابة، ونظرا للمعوقات والصعوبات التي واجهها في بداية مشواره مع المدرسين في الذين لم يقدرها موهبته في المدارس الحكومية، عمد إلى تأليف كتاب يشرح فيه هذه التجربة القاسية ووضع له عنواناً «ماذا يريد عملي وماذا أريد؟»... وهو كتاب من القطع الصغير ومن خلاله حاول فارس توضيح أفكاره وتطلعاته هو وزملاؤه الطلاب ليفهم المعلمون احتياجات المهويين منهم ورغباتهم وأهمية توفير الرعاية والاهتمام بهم. ولم يكن هذا الكتاب هو الوحيد الذي برزت من خلاله موهبة فارس في الكتابة، فقد أصدر -حسب المواقع الإلكترونية- ويجهد ذاتي وهو في الصف الرابع مجلة «فارس» التي حملت بين صفحاتها أفكارا تربوية وتعليمات للنبوغ وبعض النصائح من التربويين، وهي خاصة لمن هم في مثل سنه يوفر فيها المعلومات الثقافية والتعليمية والعلمية للطلاب الصغار، وكان يصدرها في البداية مرة كل ستة أشهر، ثم بدأت تصدر مرة في العام حتى تكون ثرية ومليئة بالمعلومات المهمة، وكانت توزع مجاناً على الطلاب في المدارس حتى تحقق الفائدة للجميع. وتتمثل والد فارس جميع نقفات طباعتها وإصدارها، حيث تبلغ تكلفتها ما يقارب أو يزيد على «5» آلاف ريال سعودي، وقد تلقى فارس عددا من خطابات الشكر والثناء من قبل أمراء ومسؤولين أرسلت لهم نسخ من مجلة فارس.

حصل على لقب أصغر مخترع سعودي

فارس الخلفي... مبدع نال التكريم الملكي

ويمكن للمتحدث بواسطة هذا الجهاز، خصوصاً المعوقين جسدياً، التحدث عن بُعد بأن ينادي باسم الشخص وعلى الفور يقوم الهاتف بترجمة الصوت وإرساله الأمر إلى دائرة إلكترونية تقوم بدورها بالبحث عن اسم الشخص ورقم هاتفه والاتصال به لياً.

وللجهاز ساعة ناطقة عند ضغط زر الساعة تنطق بالوقت ومنبه للوقت وعند استقبال اتصال ينطق الجهاز باسم الشخص المتصل، إن كان مخزننا بذاكرته التي تتسع لـ «15» اسماً، أما إذا لم يكن مخزننا فهو ينطق بالرقم فقط تسهيلاً للرد السريع ومعرفة من يتصل. وعن بداية الفكرة قال فارس «إن فكرة اختراعه بدأت بعد زيارته جمعية للأطفال المعاقين لعمل نظيفة لصحافة لتلك الجمعية، فتأثر بحالة الإعاقة التي يعاني منها عدد من الأطفال بالجمعية، فرأى لزماً عليه خدمتهم».

تكريم ملكي

بعد أن اكتمل الاختراع المميز تلقى العبقري الصغير فارس الخلفي دعوة من مؤسسة الملك عبدالعزيز لرعاية المهويين للمشاركة في الملقى الثالث للمخترعين السعوديين الذي أقيم في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة بمشاركة مخرعين من جميع الدول العربية، وحصل اختراعه على المركز الثالث من بين «55» اختراعا شاركا ما أهله للحصول على لقب أصغر مخترع سعودي من قبل اتحاد جمعيات المخترعين في العاصمة السويسرية جنيف، ومنحته شهادة تقدير أشادت بعبقريته واختراعه المميز وأرسل له خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز خطاب تهنئة قال فيه مخاطبا العبقري الصغير: «قد لا تعلم يا صغيري مقدار سعادتي بما أنتجته من اختراع لها نف لكار السن ونوي الاحتياجات الخاصة لا سيما وأنت في سن مبكرة تعلن عن كفاءة علمية نادرة في المستقبل بإذن الله...». ولم يكن هذا الخطاب هو خطاب الشكر والتقدير الوحيد الذي تلقاه فارس، فقد تلقى خطابا آخر من ولي العهد السعودي الأمير سلطان بن عبدالعزيز.

وقال العبقري فارس الخلفي في لقاء مع الإعلامي السعودي عمرو الضبعان... إن اختراعاته لم تتوقف عند اختراع الهاتف الخاص كبار السن ونوي الاحتياجات الخاصة، بل توسل إلى «5» اختراعات أخرى مميزة هي: ساعة يدوية تعليمية للأطفال والمعاقين والأسياء... وهي ساعة نظرية وإلكترونية في سوار واحد، كما أنها ناطقة للأذن والأدعية المشروعة بعد الأذان، ووسادة منه ناطقة للأذكار، وخزان لترينيد المياه، وجهاز ناطق ومترجم للأوراق التي توضع في داخله، وجهاز طامس ومعالج للأوراق التي توضع فيه.

وأضاف ابنه يمتنى أن يكون طبيباً عسكرياً، موضحاً أن الطبيب يخدم

على تنمية مهاراته المختلفة... وعندما بلغ الطفل سن المدرسة سارعت والدته بإلحاقه بمدرسة حكومية واعتقدت أنه سيلقى كل عناية وتقدير من قبل معلميه الموهبة، وأنهم سيعملون على تنميتها ورعايتها. لكن ما حدث هو العكس... فقد أهملت المدرسة التلميذ النابغة وكادت أن تسبب في تدميره... وحول هذا الموقف يقول فارس نفسه - حسب ما نقلته عنه وسائل إعلام ومواقع إلكترونية: «في المدرسة جاهدت كثيرا لإبراز موهبتي التي كنت مؤمنا بها . أمام معلمي، الذين للأسف تقيت منهم إجابة تدعو للإحباط أكثر منها لرفع الهمة.

ومازلت أذكر كلام إدارة مدرستي عند عرض أفكار اختراعاتي عليهم حينما يرون قائلين: «الفلح في دراستك أولا، ثم فكر في اختراعاتك، لم يتنازكني أحد هوموي وأحزاني جراء ذلك الإحباط، سوى أُمي التي كانت مؤمنة بموهبتي، وعملت على رعايتها وتنميتها في حدود قدراتها البسيطة والمتواضعة». وعندما شعر الطفل الصغير أن موهبته سوف تضع سد في هذه المدرسة، راح يلج على والدته حتى تنقله إلى مدرسة أخرى، وهو ما حدث بالفعل ونقل إلى مدرسة حكومية أخرى، والتي لم تختلف كثيرا عن المدرسة السابقة.

هنا تدخلت والدته فارس وتواصلت مع قسم المهويين في الإدارة التعليمية وتحدثت مع المسؤولين فيه عن قدرات طفلها الهذنية وما لديه من أفكار تحتاج إلى رعاية وتنمية... تفهم مدير القسم الأمر وأرسل لجنة إلى المدرسة التي يتعلم فيها فارس لاختبار ذكائه واستطاع أن يجتاز ذلك الامتحان بسهولة، بعد ذلك حظي بعضوية مؤسسة الملك عبدالعزيز لرعاية المهويين.

بداية المشوار

فور نشر حصول فارس على عضوية هذه المؤسسة المرموقة نهالت عليه العروض من قبل المدارس الخاصة، لمنحه مقعدا مجانيًا لاستكمال مشواره التعليمي، وحسب المواقع الإلكترونية المتخصصة رفض فارس في البداية تلك العروض، إلا أنه قبل أخيرا بعرض مدارس المملكة، وفيها وجد العبقري الصغير الرعاية والاهتمام اللازمين للتفقيص عن مواهبه وإظهار ملكة الاختراع لديه، وعن ذلك تحدث فارس قائلًا: «في مدارس المملكة شعرت بالفارق الكبير من حيث الاهتمام والرعاية، وتفهم احتياجاتي، وقد عرضت فكرة اختراعي على مدير المرحلة الابتدائية بمدارس المملكة، وكنت لحظتها متخوفا من أنه لن يبالي بالفكرة، لكن على العكس، شمرت منه باهتمام بالغ». بعد ذلك بدأ في تنفيذ اختراعه الأول وهو عبارة عن هاتف خاص بذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن يسير لهم إجراء المكالمات والرد عليها. والهاتف المبتكر له العديد من المميزات تجعل من استخدامه أمرا يسيرا للغاية، حيث توجد به أزرار عدة بأشكال والأوان مختلفة ليسهل التمييز بينها، كما أنه مزود بجهاز ناطق يقدم معلومات من المتصل.

عباقرة

تحت

20

القاهرة - من محمد عبدالفتاح |

خض الله - سبحانه وتعالى - بعض البشر بمواهب تميزهم عن غيرهم جعلتهم يبدعون في مجال من المجالات، فعلى مر التاريخ أبدع العباقرة - على مختلف أعمارهم - في شتى مجالات الحياة سواء العلمية أو العسكرية أو الفنية...

ونبع عباقرة - لم يبلغوا سن العشرين - ويرعوا في تقديم خدمات جليلة للشعرية واختراعات مميزة كان لكثير منها دور كبير في تغيير مسار الحياة المدنية والاقتصادية والاجتماعية. لكن ماذا عن حياة عباقرة تحت العشرين وكيف تربوا، وكيف عاشوا، وكيف برزت مواهبهم، وكيف تحدوا الصعاب وتغلبوا عليها؟

«الراي» نفوس - من خلال هذه السلسلة - في بحار العباقرة الصغار لتسلط الضوء على ابتكارات هؤلاء واختراعاتهم الميمرة التي أفادت ولا تزال تفيد البشرية إلى يومنا هذا منذ أن كانت مجرد فكرة في أذهانهم إلى أن خرجت إلى النور ومراسل تطورها. لكن هذه الحلقات ليس الغرض منها التسليية والترفيه في نهار شهر الصيام، لكنها دروس بليغة، تتعلم منها كيف نكتشف الموهبة ونرعاهما ونقدم هذه النماذج المشرفة لأبنائنا الصغار كي يستفيدوا منها ويتخذوا من هؤلاء العباقرة قدوة لهم... وحلقة اليوم تحكي عن المخترع السعودي الشاب فارس الخلفي:

رغم سنوات عمره التي لا تزيد على 17 عاما، إلا أن الشاب السعودي «فارس الخلفي» حقق شهرة واسعة ليس فقط في المنطقة العربية بل على المستوى العالمي أيضا، فقد استطاع بفضل عبقريته أن يتوصل إلى عدة اختراعات، أشهرها ساعة تعليمية وجهاز هاتف يخدم ذوي الاحتياجات الخاصة فكان فخرا ليبارده... كما برزت لديه موهبة الكتابة فألف كتابين قبل أن يتم عامه الثالث عشر.

طفل مشاكس

كما هو حال كل العباقرة في كل مكان وزمان... ظهرت على الطفل فارس الخلفي علامات النبوغ منذ نعومة أظفاره... وحسب والدته - في حوار صحافي - كان الصغير عصبي المزاج دائم البكاء على عكس أشقائه، وعندما بلغ الثالثة من عمره تولدت لديه رغبة قوية في القراءة، فكان يلهو ويلعب بالكتب ويفحص صفحاتها بكل عناية وكأنه يقرأها... ثم تعلم القراءة والكتابة في سن مبكرة جدا، فأقبل على قراءة القصص والروايات التي تحمل بين طياتها معاني تربوية... إلى جانب عشقه لكل ما هو إلكتروني واعتاد تفكيك لعبه وتركيب أجزاءها في بعضها البعض لينتج شيئا جديدا... أدرك والدته أن هذا الطفل سيكون له شأن في المستقبل فأهتمت به وتعليمه وحرصت